الرحلة الأخيرة

لإمام الجزيرة

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى الآثار

اليمن - صنعاء - شارع تعز - مقابل مسجد الخير

هاتف وفاكس: ٦٠٣٢٥٦ ص.ب: ١٧١٩٠

www.DarAlathar.Com

المكلل - حي العمال - اسفل المسجد الجامع

هاتف: ٣٠٧٢١٢ بريد إلكتروني: Info@ Dar alather.com

٢٨ ش مئية التحرير - جسر السويس - عين شمس الشرقية - القاهرة - ج م ع

ت وفاكس: ٦٤٢٢٣٢٣

ت: ٦٣٦٣٧٨٦

Info@ Dar alasar.cc.sahab

الرِّحلة الأخيرة
لإمام الجزيرة

تأليف

أم سلمة السلفية

دار الآثار
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا.

أما بعد: فحياة العلماء حياة مليئة بالسعادة لما تحتويه من ذكر الله وتعليم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن ظفر بصحبتهم فقد ربح تجارة لن تبور وإن ناله بسبب ذلك من الأذى ما ناله، فهو الرابح في النهاية بمشيئة الله تعالى، ولنا في أبي هريرة رضي الله عنه أسوة.

روى الإمام البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولو لا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1] إن أخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق، وإن أخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة رضي الله عنه كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون.

ولِمَا علمته من فضل صحبة أهل الخير والصلاح، قمت بالتطفل على حياة عالم من علماء أهل السنة والجماعة وهو الإمام المحدث الشيخ أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، ثم أحببت أن أكتب نبذة عمَّا رأيته في حياته رحمه الله، ليعلم الناس ببعض السعادة التي قد تمتعنا في ظلالها أيامًا، ولا نزال نتمتع بها مع من بقي من علماء أهل السنة والجماعة حفظهم الله تعالى ونصر بهم الإسلام والمسلمين، وقد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩-١٦٠.

كتب في حياة هذا العالم الإمام أناس كثير، ولكنني أقتصرت على شيء خاص، وهو هذه الرحلة القيمة التي شدت من أزر أهل السنة والجماعة وأغاضت أعداءهم؛ بل إن موته رحمه الله تعالى في ذلك البلد الشريف كان نصرًا مؤزرًا للدعوة السلفية، وقد عُلم ذلك من كلام أهل الضلال وأشعارهم قاتلهم الله حيث يعتبرون موته في بلاد الحرمين كذبة مخترعة أذَّلهم الله!!

وقد كانت كتابتي في هذا الموضوع بتحريض من الشيخ رحمه الله فما أن عرف أنني أسجل التاريخ لبعض أحداث هذه الرحلة إلاَّ وهو يحرص على إفادتي وينقل إليَّ كل ما يستطيعه من الأخبار المهمة والمشاهدات التي يشاهدها والإخوان الذين يلتقي بهم، حتى إن في سفره إلى أمريكا، وهناك كان الفراق الأول بيننا وعدني بأن يخبرني بكل شيء يستحق الكتابة عبر الهاتف، وصدق والله فهو ما إن وصل إلى هناك إلا وهو يريد أن يخبرني عن كل شيء حتى قال له أبوحاتم: لا تتعب نفسك يا شيخ فأنا سأسجل لها كل شيء، وهكذا أخبرني الشيخ رحمه الله وكان الوعد!!

ثم بعد ذلك حصل الطمع، وتغيرت المقاصد، وحصلت الخديعة، وعندما التقينا في الحج طلب الشيخ رحمه الله منه الدفتر، وكان حريصًا على أخذه منه وهو يتملق ويقول: أولاً أرتبه ثم أعطيها، هو الآن في مأرب، وهكذا إلى أن انتهت الرحلة.

صرح الشيخ أبوحاتم بأنه لم يستفد من الرحلة إلا هذا فهو يريد أن يكتب حياته مع الشيخ القديمة والأخيرة، ويرفض أن يفيدني بأي شيء إلا بما التقطته من بعض الأشرطة التي سُجلت له.

ولكن الحمد الله أهل الخير كثير، وقد حرصت على الاقتصار على ما أخذته من الثقات أو حضرته أو سمعته بإذني، وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وقد كنت بدأت بالكتابة في هذا الموضوع في حياة شيخنا عليه رحمة الله إلى أن وصلت إلى سفره إلى أمريكا، وعندما التقيت به رحمه الله في الحج عرضته عليه فقرأه وأُعجب به، وبكى عند قراءته! رحمه الله فلهذا عندما أكملته كرهت أن أغير فيه شيئًا

بل تركته كما هو وذكرت بقية الرحلة.

هذا وأسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن يستظلون تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وأن يجمع بيننا وبينه في جنات النعيم كما جمع بيننا في الدنيا إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد الله رب العالمين.

كتبته الفقيرة إلى عفو المنان

أم سلمة السلفية زوج الإمام المحدث شيخ الإسلام أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فضل العلم وأهله

كل دليل على فضيلة أهل العلم يدل على فضيلة العلم، حيث إن هذا العالم لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بسبب العلم، وكذلك رفعته تكون على قدر علمه وإخلاصه وعمله بالسنة، وكلما كان أكثر علماً وعملاً، كان أرفع في الدرجات وفي أعين الناس. نسأل الله أن يجعلنا من أهله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ﴾[٦].

قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢١٩): استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه، وهو توحيده فقال: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

وَالمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ ﴾[1] وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:-

أحدها: استشادهم دون غيرهم من البشر .

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم. اهـ المراد.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾[3].

قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح السعادة» (١/ ٢٣٦): إن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها وأباح صيد الكلب المعلم وهذا أيضًا من شرف العلم. اهـ

قال الإمام البخاري رحمه الله (١/ ١٨٠): باب فضل العلم حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب عن حمزة ابن عبدالله بن عمر أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا نائم، أوتيت بقدح لبن فشربت، حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم». رواه مسلم (٢٣٩١).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦-١٠٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (١/ ١٧٥): حدثنا محمد بن العلاء، قال: حدثنا حماد بن أسامة، عن بريد بن عبدالله، عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». رواه مسلم (٢٢٨٢).

وقال الإمام البخاري رحمه الله (١/ ١٦٤): حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: قال حميد بن عبدالرحمن: سمعت معاوية خطبنا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقه الدين». ورواه مسلم (١٠٣٧).

وقال الإمام مسلم رحمه الله (١٦٣١): حدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة (يعني ابن سعيد)، وابن حُجر. قالوا حدثنا إسماعيل هو (ابن جعفر) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وقال الإمام أبوداود رحمه الله (٣٦٦٠): حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن شعبة، حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب، عن عبد الرحمن ابن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضَّرَ الله امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه».

وهذا حديث صحيح، وكذلك يصححه الشيخ رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٢٥٧).

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٧٣): حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثني إسماعيل بن أبي خالد -على غير ما حدثناه الزهري- قال: سمعت قيس بن أبي حازم قال سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها». ورواه مسلم (٨١٦).

وقال الإمام مسلم رحمه الله (٦٧٣):حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو سعيد الأشج كلاهما عن أبي خالد، قال: أبو بكر حدثنا أبوخالد الأحمر، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أوس بن ضَمْعَجٍ عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً، ولا يؤُمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه».

قال الأشج في روايته (مكان سِلماً) سِنًّا.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (١٣٤٧): حدثنا ابن مقاتل أخبرنا عبدالله أخبرنا الليث بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم، يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟» فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء» وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم، ولم يغسلهم ...

رحلة الوداع

أهـدي ابـن هـادي الـوادعي نظـامي ... ومحبـــتي وتحيـــتي وســـلامي
وإليـــه يشـــتاق الفـــؤاد فهجـــتي ... ســـعدت بـــذكراه مـــدى الأيـــام
مـــن مثـــل مقبـــل في جلالـــة قـــدره ... في ســـنة المختـــار بحـــر طـــامي
عـــلم مـــن الأعـــلام إن شـــاهدته ... أشرفـــت فـــوق دار المقـــام الســـامي
قطعـــت رقـــاب الملحـــدين بســـيطه ... وانـــدَّك ركـــن الباطـــل المـــترامي[1]

فمن هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين نصر الله بهم السُّنة وقمع بهم البدعة الشيخ العلاَّمة الفَّهامة محدث الديار اليمنية أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ فكم قد أحيا الله به من السنن، وكم قد أمات الله به من البدع، وكم قد أذل به من الحزبيين ولله دَّرُ القائل:

إذا عاينتـــــه أبصرت علـــــما ... عـــلى أوصـــافه يبـــدو أصـــيلا
أبـــاد الشرك مقتلعـــاً عـــراه ... وأهـــدى العـــلم تاريخـــاً جمـــيلا
بـــه أعيـــا الإلـــه حيـــاة جهـــل ... بـــأرضي قـــد جثـــا زمنـــاً طـــويلا

وعالمنا المذكور عَلَمٌ لم تشهد عينه مثل نفسه، فهو عَلَمٌ في العلم والتقى، والزهد، والورع، والصبر، والشجاعة، والذكاء، وقد شهد له بذلك أعداؤه. (والحق ما شهدت به الأعداء).

ليـــت شـــعري أمقبـــل مـــن بـــلادي ... هـــل ســـتأتي بمثـــل شـــيخي النســـاء[2]
شـيخ عـلى النـور قـد نـثر الخطـى فلـه ... أقـــدام صـــدق إلى الآفـــاق ترفعـــه
قـد سـار والـدرب فـوق الجهـد يـا لأبي ... مـن لي بشـيخ يسـاوي اليـوم أصـبعه[3]

---

(١) نبذه من قصيدة محمد بن علي بن يعقوب «الترجمة» ص٢٠٦.
(٢) من قصيدة لمحمد المهدي.
(٣) نبذه من قصيدة لعبدالله بن أحمد «الترجمة» ص١٩١.

وأما أهل السنة والجماعة فحبتهم له لا تحد، وأشعارهم لا تُعد، وأقوالهم لا تُحصى وكما يقول ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[1].

وقد جمع الشيخ حفظه الله من أقوالهم وأشعارهم الشيء الطيب النفيس، وأودعه في «الترجمة» التي عملها لنفسه.

وأنا لست في سياق الترجمة له وهذا أمر يُشرفني، ولكن قد سُبقت إليه ولكن في سياق رحلة الشيخ التي نصر الله بها أهل السنة نصرًا مؤزرًا وأغاضت الأعداء وأحرقتهم.

ولم يكن قد أعدَّ لها العدة، ولكن هكذا هم أهل السنة دعاة إلى الكتاب والسنة في صحتهم ومرضهم، وفي ذهابهم وإيابهم، وفي ليلهم ونهارهم لا يسأمون ولا يملون، وقدوتهم في ذلك نبي هذه الأمة النبي الأمي محمد بن عبدالله الصادق الأمين ﷺ فكم من الأحكام قد أخذت منه، وهو على فراش الموت، وهو في مرضه الأخير.

وأما رحلة الشيخ حفظه الله تعالى وشفاه

فكانت ابتداءً من ليلة السبت في النصف من ربيع الأول سنة ١٤٢١هـ وذلك بسبب آلام (نزيف دم) فاجأه من بعد العشاء اضطره بعد منتصف الليل إلى الذهاب إلى مستشفى السلام بصعدة، ولكن بعد وصوله إليهم لم يستطيعوا علاجه، فأحالوه إلى صنعاء فعاد إلى دماج، وأخذ بعض حاجاته ثم ارتحل إلى صنعاء، وقد تغير لونه، وتغيرت ملامحه، وخرج وكأنه مودع، ولكن مع هذا ما زال يمشي على قدميه حفظه الله ورعاه.

وقد تعجب من ذلك الأطباء في مستشفى الثورة فعندما وصل إليهم في صنعاء تعجبوا كيف لم يُغمَ عليه مع أنه قد وصل إلى تلك الحالة من التعب، ثم أُعطي شيئًا

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٣٦) من حديث عائشة، ومسلم برقم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة.

من العلاج، ووضع في جناح خاص ومعه مرافقوه، وأما الزوار فلا تسأل فقد عاده الصغير والكبير، والصديق والعدو، والرجال والنساء يعودونه ويبكون عنده، ويبذلون له الأرواح فكم من رجل بل امرأة قد بذل له كبده، لكن الشيخ يمتنع ويفتي بتحريم ذلك، وأنه لا يجوز من حيث إن الإنسان ملك لله فهو لا يملك أعضاءه.

وأعجب لأقوام جسومهم غدت ... بديارهم وقلوبهم بلواك
ما زرت قومًا أو نزلت بدارهم ... إلا دعوا رب السما لحماك
وكذا النساء حتى الصغيرة شاركت ... بدعائها لله ما أولاك[1]

نعم محبة عظيمة له وضعها الله في قلوب أهل السنة، ولا تعجب من ذلك فالنبي ﷺ يقول: «إذا أحب الله عبدًا، نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[2].

فنرجوا من الله أن تكون هذه المحبة التي وضعها في قلوبهم له، دليل على محبته إياه فهو عالم رباني، ومحبتهم له إنما هي محبة في الله، لا يشوبها طمع في مال، ولا رآسة، ولا منصب رفيع، وإنما يقول ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يُقذَف في النار»[3].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»[4].

وقد قال قائلهم:-

---

(١) نبذة من قصيدة لمنصور الأديبي «الترجمة» ص٢٠٠.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٠٤٠)، ومسلم رقم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود (١٤/ ٢٩) بإسناد صحيح من حديث المقداد بن معدي كرب، وهو كذلك في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» لشيخنا حفظه الله وشفاه (٢/ ٢٢٠).

والله يعلم ما حبي لشخصكم إلا محبة من يرجو النجا فيها
فحبكم -شيخنا- والله في كبدي والله لولا الجوى ما كنت أفشيها[١]

وقال آخر:

فإني أحبك والرسول يحثنا لقول مقال بات للأحباب
أحبك والله الذي ليس غيره إلهٌ فبغضك باب كل خراب[٢]

وكما قلنا إن زواره إلى المستشفى لا يحصى عددهم إلا رب العالمين، ومن هؤلاء الزوار: العميد علي بن محسن الأحمر، وغالب القمش رئيس الأمن السياسي، وعبد المجيد الزنداني، وعبد المجيد الريمي، ومحمد بن إسماعيل العمراني، وإسماعيل الأكوع، والمقطري، ومحمد بن موسى البيضاني، ومحمد المهدي، وعبدالله الحاشدي، ومحمد الصادق، وعبدالله صعتر.

وأما أهل السنة فحدث ولا حرج فقد كانوا يأتون إليه زرافات ووحدانا، ووفود من الحديدة، وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الوصابي، ووفود من معبر، وعلى رأسهم الشيخ محمد الإمام، والشيخ عبد الرقيب الإبي، ووفود من مأرب، وعلى رأسهم الشيخ أبو الحسن المصري، والشيخ أبو حاتم، ونعمان الوتر[٣]، ووفود من تعز، وعلى رأسهم الشيخ أحمد الشيباني، ووفود من مفرق حبيش، وعلى رأسهم الشيخ عبدالعزيز البرعي، ووفود من عدن، ومن سيئون، ومن الشحر، ومن المكلا ومن غيرهم من البلدان اليمنية، ومن السعودية ومن الإمارات.

وأما دماج وصنعاء فما أظن أنه بقي أحد يستطيع عيادته إلا عاده بل انزعج أصحاب المستشفى من الأطباء والمرضى والحرس، وتعجبوا من هذه الكثرة، وقالوا لقد مرض في هذه المستشفى ضباطٌ ومسئولون، ولم نرَ مثل هذا الزحام، ومثل هذه

---

(١) نبذة من قصيدة لعلي الرصاص «الترجمة» (ص١٠٢).

(٢) نبذه من قصيدة لوليد بن حيدر «الترجمة» (ص١٨٠).

(٣) كنت أحب أن ألغي هذه الأسماء الثلاثة ولكن كما قلت في أول الكتاب لأن الشيخ رحمه الله قد اطلع على هذا فما أريد أن أغير شيئًا، والله المستعان.

الحشود فيا لله دره من عالم اهتزت له أرجاء اليمن جزعًا وهلعًا! ولا أقول اليمن فقط، بل وغير اليمن، فأهل السنة متحابون أينما كانوا.

وأما الحاقدون المدبرون المائلون عن الحق فقد نشروا ظلماً وعدوانًا وحقدًا وبغضًا بأن الشيخ قد توفي.

بموتك يا ابن هادي قد أذاعوا رؤوس المغرضين من اللئام
بصعدة كل جرثوم عنيد يقودون البواطل بالزمام[1]

وتكذيبًا لهم على ما أذعوه من باطل، قام الشيخ بإلقاء محاضرة من وسط مستشفى الثورة بصنعاء عبر الهاتف إلى مسجد الخير بصنعاء، وإلى دماج والحديدة، ومعبر، ومفرق حبيش، ومأرب، وعدن.

ولقد بقي الشيخ حفظه الله وشفاه في المستشفى ذلك الأسبوع، والذي بعده إلى يوم الأربعاء، ثم خرج إلى بيت الشيخ الفاضل محمد الصوملي الذي قد بذل نفسه وبيته وماله في خدمة الشيخ ورفقته، فجزاه الله خير الجزاء.

وقد بذل بعض الأخوة بيوتهم للشيخ حفظه الله، ولكن أراد الله الخير بمسجد الخير وأصحابه، ولم تطب نفس الشيخ حفظه الله إلا بالبقاء عندهم.

وفي اليوم الثاني من وصوله إلى مسجد الخير قاموا بالإعلانات بمحاضرة الشيخ، واجتمع عليها الناس من كل حدب وصوب، وأُرسلت إلى دماج، وإلى معبر، وإلى مأرب، وإلى غيرهن من البلدان عبر الهاتف.

وأُعلن بعدها بمحاضرة أخرى في اليوم الثاني في نفس المكان وبقي الناس فرحين بشفاء عالمهم الرباني، وبقي الأعداء في جحيم يحترقون بغيظهم بغضًا منهم لهذه الدعوة، وأهلها ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ

(١) نبذة من قصيدة لمحمد الخولاني وستأتي إن شاء الله في آخر الرسالة.

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[١].

وبقي الشيخ في هذا البيت في سعادة وهناء يستقبل الزوار، ويجيب عن الأسئلة لا يحزنه إلا اشتياقه لطلبته ومكتبته، وقد كان الشيخ في هذه المدة يدرس في "صحيح مسلم" بين مغرب وعشاء في مسجد الخير وألقى معه لقاءان صحفيان، وقام بمحاضرة ثالثة في مسجد الخير، ومحاضرة في مسجد شرقين، وأجاب عن سؤال واحد في مسجد الفتح، وكانت آخر ليلة في صنعاء وبعدها السفر إلى المملكة.

ثم كان السفر من مطار صنعاء صباح الثلاثاء السادس عشر من ربيع الثاني ١٤٢١هـ إلى مطار الرياض، قام بتوديعه جمع غفير منهم الشيخ محمد الصوملي، والشيخ أبو الحسن المصري[٢]، والشيخ محمد الإمام حفظهم الله تعالى جميعًا وبارك فيهم، ثم أقلعت الطائرة من مطار صنعاء وهي تحمل بين أجنحتها العالم الرباني محدث العصر حفظه الله ورفقته صالح بن قائد وعبدالله بن صالح، وزوجتيه أم شعيب الوادعية وأم سلمة السلفية.

نعم إنها رفقة تعتز بصحبتها ورفقتها وخدمتها لعالمها الجليل حفظه الله شفاه.

نفسي الفداء لشيخ شد مئزره ... وحارب الرفض حتى دك أضلعه أضلعه
وأخمد الفتنة الهوجاء ثم أتى ... على التصوف بالتوحيد ضعضعه[٣]

إن هذا المقام حسدنا عليه قوم، وغبطنا عليه قوم، وخاصمنا عليه قوم كلهم يودُّ أن يكون هو المرافق لهذا العالم الجليل أسأل الله ألاَّ يحرمني من رفقته دنيا وآخره وفي الجنة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٢٠.

(٢) لا يستحق الذكر ولكن كما تقدم لئلا يغير شيء بعد اطلاع الشيخ رحمه الله.

(٣) نبذة من قصيدة لعبدالله بن أحمد بن عبده بن إسحاق «الترجمة» (ص١٩١).

المسابقة إلى خدمة العلماء هي سنة سلفنا الصالح

قال أنس بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ «إذا خرج لحاجته تبعته أنا وغلام منا معنا إدواة من ماء»[١].

وغيره كثير، وعالمنا الجليل لا يحب أن يسأل أحدًا، ولو كان أقرب الأقربين

وأنت عزيز النفس لست تذلها لغيرك إلا من بفوق سحاب[٢]

وفي ظهر يوم الثلاثاء كان وصوله حفظه الله إلى مطار الرياض معززًا مكرمًا ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣]

لقد كان استقبالهم له استقبال الأمراء وترحيبهم له ترحيب الأمراء، ثم انتقل على سيارة خاصة من مطار الرياض إلى فندق المربع في المربع، وأُعطي كل ما يحتاج إليه في هذا الفندق، أعطى له ولأهله شقة، ولرفقائه من الرجال شقة ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٤].

ثم أُدخل في اليوم الثاني المستشفى (مستشفى الملك فيصل التخصصي) وبقي فيه إلى اليوم الثاني ثم أُخرج؛ لأن صحته لا تستدعي أن يبقى في المستشفى وهم في هذين اليومين متوقِّفون عن العمل، فخرج يوم الخميس والتقى في هذا اليوم بالأمير عبدالرحمن حفظه الله في مسجده وبيته، وجلس معه جلسة عابرة يمزحان معًا ويضحكان. خرج الشيخ حفظه الله وشفاه من عنده وهو يعجب من تواضع الأمير عبدالرحمن، ثم قبيل المغرب ذهب إلى الخَرْج مدعوًا عند بعض الأخوة هناك، ثم يوم الجمعة ذهب الشيخ -حفظه الله وشفاه- بعد صلاة الجمعة إلى الشيخ عبدالعزيز بن

---

(١) رواه البخاري رقم (١٥١) ومسلم رقم (٢٧١).

(٢) نبذة من قصيدة لوليد «الترجمة» (ص١٨٠).

(٣) سورة المنافقون، الآية:٨.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

عبدالله آل الشيخ المفتي العام للمملكة، وخرج من عنده أيضًا، وهو يتعجب من تواضعه وزهده ورزانة عقله على خلاف ما قيل عنه. ثم في يوم السبت رجع إلى المستشفى، وقاموا بالفحوصات وتوارد عليه الزوار حتى أتعبوه لا ينقطعون عنه ليلاً ولا نهارًا يأتون إليه في وقت الزيارة وفي غير وقتها.

وبقي فيه إلى يوم الأربعاء ثم خرج بعد خروج النتيجة، وأنهم سيحيلونه إلى الخارج إذا أراد السرعة في العلاج.

ومنها قرر الشيخ حفظه الله وشفاه الذهاب إلى مكة، فقام الأخوة بالاستعداد للسفر إلى مكة، ثم كان السفر ليلة الجمعة أواخر ربيع الثاني وبما أن رسول الله ﷺ يقول: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[1] فنحن لا ننسى أن هناك من الأخوة في الرياض قاموا بخدمة الشيخ حفظه الله منهم: سالم باشمّاخ فقد تبرع بسيارته المريحة أن تبقى تحت خدمة الشيخ حفظه الله مدة بقائه في الرياض، وكذلك الأخ محمد بابكر كان هو السائق، وقد قام بتمشية الشيخ -حفظه الله- وأراه بعضًا من نواحي الرياض.

وهناك من الأخوة من جاء وطلب من الشيخ أن يأذن له في خدمته، ولكن الشيخ -حفظه الله- اعتذر له، وشكر له طلبه، وأنه لا يحتاج إلى ذلك فجزاهم الله عنه، وعن الإسلام خير الجزاء.

ثم ذهب الشيخ حفظه الله إلى مطار الرياض، وكان قد اغتسل ولبس إحرامه استعدادًا للعمرة، ثم كان الوصول إلى مطار جدة بعد منتصف الليل، نزل الشيخ حفظه الله من الطيارة مباشرة إلى سيارة خاصة به، وبمن معه نقلته أولاً إلى صالة الترحيب، ثم منها أيضًا على سيارة خاصة إلى فندق (سوفيتل الحمراء جدة) كل هذا الترحيب والاهتمام من قِبل الحكومة فجزاهم الله خيرًا، نزلنا في هذا الفندق تعشينا ثم

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨١١) بسند صحيح وكذلك يصححه الشيخ رحمه الله في «الصحيح المسند» (٢/ ٣٣٧).

جددنا الوضوء، وانتقلنا مباشرة إلى الحرم المكي من أجل العمرة كان الوصول إلى الحرم وقت تسليم الإمام من صلاة الفجر، صلينا منفردين، ثم قمنا بأدآء العمرة بحمد الله ورجعنا إلى فندق جدة، ومن شدة التعب نمنا إلى بعد الظهر ثم توافد إليه الزوار وخرج إليهم في العصر، وكان على رأسهم الشيخ الفاضل ربيع بن هادي المدخلي، التقى بالشيخ -حفظهما الله- وجلس معه، وعزمه عنده على الغذاء، وقد بقيا في لقاء متواصل بينهما طوال مدة بقاءنا في جدة ومكة يأتي إلى الشيخ -حفظه الله-، ويذهب الشيخ إليه -حفظه الله- إلى مكتبته جلس معه جلسات علمية ممتعة، كان يرتاح الشيخ جدًا بلقائه ومجالسته.

ومما أنشداه في أول لقاء لهما:

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ولقد بقي الشيخ حفظه الله في جدة أسبوعًا يخرج في العصر إلى الحرم ويرجع بعد العشاء، وفي خلال هذه الأيام ذهب في يوم منها إلى بحر جدة، وقام عليه ينظر فيه.

ولقد تذكرت قول الناظم:

والبحر يسأل لي شبيه بينكم ... يا بحر مهلا دع عيونك ترمق
شتان بينكما وبون شاسع ... لا يستوي بحر وطود شاهق
بحران في أرض الحديدة شيخنا ... بحر يسير وساكن لا ينطق
فإذا رأيت البحر هالك وسعه ... فلأنت بحر واللآلئ تنفق[1]

وفي يوم الأربعاء من هذه الأيام، التقى الشيخ -حفظه الله- بالأمير نايف بن عبدالعزيز -حفظه الله- في جلسة خاصة بينهما، ومما دار بينهما من الحديث أن الأمير جزاه الله خيرًا قام بذكر بعض ما تقوم به الحكومة السعودية من الإكرام للعلماء والاستجابة لهم؛ وأن ذلك لوجه الله عز وجل، وعملاً بوصية والدهم عبدالعزيز بن سعود رحمه الله عليه.

---

(١) نبذة من قصيدة لأحمد العباسي «الترجمة» (٢١٨).

ثم قال أتحب أن نتكلم في ذلك الموضوع أم لا؟ [وهو يعني كلام الشيخ -حفظه الله- على حكام السعودية].

قال له الشيخ -حفظه الله-: أنا قد كنت مظلومًا في ترحيلي من المملكة وأنا الآن تحت ضيافتكم فكما تحب، وإني إن شاء الله سأحذف ما يمكن حذفه، وأعلق على ما لا يمكن حذفه، ولا يقابل الإحسان بالإساءة إلا لئيم فقال: الأمير -حفظه الله-: هذا الأمر بينك وبين ربك وأنت افعل ما شئت.

وقد قام الأمير جزاه الله خيرًا بإكرام الشيخ -حفظه الله- غاية الإكرام، وقال نحن سنتولى جميع ما تحتاج إليه من علاج وغيره ما دمت تحت ضيافتنا، والآن هل تحب الانتظار في جدة أو في مكة حتى ننتهي من المعاملة لسفرك إلى الخارج، فقال الشيخ -حفظه الله-: أحب البقاء في مكة. فقال جزاه الله خيرًا: لك ذلك وسنعطيك منزلاً لا يبعد عن الحرم إلا بمقدار خمسين مترًا.

وصدق وفي أسرع وقت قاموا بتجهيز ثلاث شقق في دار الأزهر بجوار الحرم لا يفصل بينها وبين الحرم إلا الشارع، وكانوا قد أعطوا للشيخ -حفظه الله- شقتين لكل واحدة من زوجتيه شقة، فأبيت ولسان حالي يقول:

فواحر قلبي من فراقك لحظة كأني أسير حيط بالأنياب

عارضتُ وأصررت على جمعنا في شقة واحدة، ومرافقي الشيخ في شقة وبعد أسبوع من بقائنا في مكة، خرج الشيخ -حفظه الله- إلى منى وعرفات نزهة، ورجع وهو محرم بالعمرة الثانية أثابه الله وشفاه وعافاه من كل سوء ومكروه.

أعماله في هذه المدة

ومما عمله الشيخ -حفظه الله- في هذه المدة التي هي مقدار شهر ونصف

أولاً العبادة: قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1] فالشيخ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.